

زيتون

العدد: 199



تركيا تسلم أسرى رأس العين الـ ١٨ للنظام السوري



فيما تمكن عناصر الجيش الوطني من أسر نحو ٢٠ عنصرا للنظام.

وأضافت المصادر أن الاشتباكات تدور في مدينة رأس العين وبلدة تل الهوى في ريف رأس العين في ريف الحسكة ومنطقة أبو رأسين الواقعة بين تل تمر ورأس العين.

وكانت قوات النظام قد نشرت مخافر لها على الشريط الحدودي مع تركيا بين عامودا والدرباسية وفقا لاتفاق تركيا وروسيا واستمرار انسحاب قوات قسد من المنطق

مخزية لقوات النظام فيما لم يتلق العنصرين المصابين رعاية صحية من الجانب التركي بينما تمت عملية التسليم بعيدا عن عدسات الإعلام.

وكان الجيش الوطني السوري الموالي للحكومة التركية تمكن في ٢٩ من الشهر الحالي من أسر ١٨ عنصرا من قوات النظام بالقرب من مدينة رأس العين في شمال سوريا وقتل وجرح عدد آخر، وذلك بعد اشتباكات دارت بين الطرفين وعقب انتشار قامت به قوات النظام في بعض المناطق التي انسحبت منها قوات قسد.

وقالت مصادر ميدانية إن القصف المتبادل ما بين القوات التركية والفصائل الموالية لها وقوات النظام السوري والذي شاركت فيه طائرات تركية أسفر عن إصابة ستة عناصر تابعين لقوات النظام السوري

سلمت الحكومة التركية ١٨ أسيرا من عناصر قوات النظام السوري للجانب السوري اليوم الخميس بعد عملية مفاوضات روسية تركية.

وقالت مصادر إعلامية إن القوات التركية قامت بتسليم ١٨ عنصرا من قوات النظام السوري للجيش السوري في معبر الدرباسية على الحدود التركية السورية.

وتداول ناشطون معارضون ووسائل إعلام موالية لقوات قسد مقاطع مصورة توثق عملية التسليم ويظهر فيها عدة سيارات عسكرية وعنصر لقوات النظام بعضهم مصابون.

وكان وزير الدفاع التركي خلوصي أكار أعلن في وقت سابق أن بلاده تجري محادثات مع الجانب الروسي فيما يخص ملف أسرى قوات النظام السوري الـ ١٨ الذين تم أسرهم منذ يومين.

وأكدت المصادر أن طريقة التسليم كانت

٩ شهداء مدنيون وعدد كبير جرحى بانفجار مفخخة في عفرين



المنطقة.

وتناقل النشطاء مقاطع مصورة للانفجار الذي بدا هائلا وآثار الفزع والخوف لدى الأهالي.

إلى ذلك استفاقت مدينة كفرنبل صباح اليوم على استشهاد مدنيين اثنين فيها جراء غارات جوية شنتها طائرات روسية على المدينة.

مراد، في خربة شران شمالي عفرين، ما أدى لإصابته وطفليه بجروح متفاوتة.

وانفجرت دراجة نارية بالقرب من أحد مقرات الجيش الوطني في قرية تل الهوى قرب مدينة الراعي شمالي حلب، ما أدى إلى مقتل شخص وإصابة عدد من المدنيين بجروح.

وتشهد مدن وبلدات ريف حلب الشمالي والشرقي في الفترة الماضية عدة تفجيرات استهدفت مدنيين وقياديين ومقاتلين في الجيش الوطني، وتركزت غالبية التفجيرات بالقرب من الأسواق الشعبية والتجمعات المدنية، راح ضحيتها عشرات الشهداء والجرحى.

كما وقع انفجار ضخم هز بلدة دركوش في ريف جسر الشغور نتيجة انفجار مستودعا للأسلحة فيها.

استشهد ٩ مدنيين وجرح آخرون صباح اليوم الخميس، جراء انفجار سيارة مفخخة في سوق الهال بمدينة عفرين بريف حلب الشمالي.

وقال ناشطون، إن سيارة مفخخة انفجرت في سوق الهال بمدينة عفرين فجر اليوم الخميس، مما أدى إلى استشهاد ٩ مدنيين وإصابة أكثر من ٣٠ بجروح بعضهم بحالة حرجة.

وأضاف الناشطون إن الانفجار تلاه اشتعال الحرائق في سوق الهال والمنطقة الصناعية ومحطة وقود بالقرب من السوق، حيث سارعت فرق الإسعاف والدفاع المدني لإطفاء الحرائق وإسعاف المصابين.

كما انفجرت عبوة لاصقة بسيارة مسؤول التسليح في فرقة السلطان

انطلاق أعمال اللجنة الدستورية السورية في جنيف



إن قضيتهم لاتزال دون حل جذري ويجب حلها في أسرع وقت، مشيرا إلى أن الحرب شردت أكثر من نصف الشعب السوري، وأن النصر الحقيقي في سوريا هو تحقيق السلام والعدالة.

من جانبه، قال رئيس وفد النظام السوري أحمد الكزبري، إن السوريين يعلقون علينا آمالا كبيرة في إنجاح عمل اللجنة كمدخل سياسي لإنهاء الأزمة، مشيراً إلى أنه "لا نمانع في إدخال تغييرات على الدستور الموجود أو تغييره بالكامل بما يخدم مصلحة السوريين".

وأضاف إن "الشعب السوري هو وحده الذي سيقبل بالتعديلات أو يرفضها"، منوها إلى أن الحوار يجب أن يكون سوريا خالصة، بعيدا عن أي تدخل أو خارجي أو شروط مسبقة.

للاستفتاء الشعبي، معتبرا أن الدستور ملك للشعب السوري وحده وهو من يقرر مستقبل بلده، ودور الأمم المتحدة يقتصر على تيسير عمل لجنة مناقشة الدستور.

وقال رئيس وفد المعارضة هادي البكرة، "نبدأ هذه الخطوة الهامة من العملية السياسية والاجتماعية وأمل أن أتمكن بكل تواضع من نقل أصوات السوريين".

وأضاف، نحن هنا للبحث عن أوجه التشابه لا الاختلاف، وسنبداً عملنا بصياغة دستور جديد يرقى لتطلعات شعبنا، بعيدا عن الطائفية ويطبق القرار الأممي ٢٢٤٥، ووفق جدول زمني محدد ويدعم إجراء انتخابات نزيهة بإشراف الأمم المتحدة".

وعن ملف المعتقلين أشار البكرة إلى

انطلقت أعمال اللجنة الدستورية السورية في جنيف اليوم الأربعاء، بمشاركة ممثلين عن النظام والمعارضة ومنظمات المجتمع المدني، وإشراف المبعوث الأممي إلى سوريا غير بيدرسون.

وقال بيدرسون في الكلمة الافتتاحية للجلسة إن إطلاق عمل اللجنة الدستورية لحظة تاريخية من شأنها أن تفضي إلى حل للأزمة السورية.

وأضاف، سنناقش أهم قضايا المجتمع السوري بشكل فعلي، واللجنة الدستورية مخولة بكتابة مسودة التعديل الدستوري وتقديمها للاستفتاء الشعبي.

وأشار المبعوث الأممي إلى أن اللجنة يمكن أن تناقش دستور العام ٢٠١٣ أو تضع مسودة تعديل دستوري وتقديمها

في مقر الأمم المتحدة في جنيف، بحضور ممثلي نظام الأسد والمعارضة السورية والمجتمع المدني وإشراف المبعوث الأممي غير بيدرسون.

ويأتي هذا التصعيد الذي تشهده المناطق المحررة في أرياف إدلب السورية وحلب واللاذقية، بالتزامن مع اجتماعات اللجنة الدستورية السورية

من جانبها أعلنت الجبهة الوطنية للتحرير عن مقتل مجموعة كاملة لقوات النظام إثر وقوعهم في كمين محكم على محور كلز في جبل التركمان بريف اللاذقية الشمالي.

معربا عن التزام المنظمة الدولية بالعمل مع جميع الأطراف للتوصل إلى حل سياسي.

المبذولة لإنهاء الحرب المستمرة في سوريا منذ عام ٢٠١١، وقال يوم الجمعة، إن الوقت حان لإنهاء الفصل المأساوي في حياة الشعب السوري،

وكان الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش قد أعلن في ٢٣ سبتمبر/ أيلول الماضي، عن تشكيل اللجنة الدستورية، ضمن الجهود

مقطع مصور للعملية العسكرية الأمريكية على مخبأ البغدادي



قال في وقت سابق إن أبو بكر البغدادي ميت، بعد هجوم بثمانية طائرات أمريكية قامت بعملية إنزال لقوات أمريكية على منزل كان يتواجد فيه زعيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي.

وأضاف ترامب أن المنزل الذي كان يتواجد فيه البغدادي كان يحتوي على أنفاق، وقد حشر البغدادي في محاولة هروبه بأحدها مع ثلاثة أطفال وفجر نفسه بستره ناسفة كان يرتديها.

بث قناة الحرة الأمريكية مقطعاً مصوراً قالت أنه من العملية العسكرية التي نفذتها القوات الأمريكية على منزل كان يختبئ فيه زعيم تنظيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي.

ويظهر في المقطع المصور مجموعة من العناصر تحاول الاقتراب من منزل يتواجد وسط حقل من الأشجار، لتنهال عليهم رشقات من النيران العنيفة قتلهم وهشمت قسماً من المنزل.

وكان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب

الرئيس الأمريكي يؤكد مقتل البغدادي

وشكر الرئيس الأمريكي في كلمته كل من روسيا وتركيا والأكرد على تقديمهم لمعلومات قيمة أدت إلى مقتل أبو بكر البغدادي.

ونوه ترامب أن العملية استمرت ما يزيد عن الساعة في ريف إدلب، بعد عدة أسابيع من المراقبة الذي كان يغير مكانه باستمرار. يترب الإلبيون بقلق مرحلة ما بعد انتهاء معركة "نبع

أكد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب خبر مقتل أبو بكر البغدادي في عملية عسكرية للقوات الأمريكية في شمال إدلب في ٢٩ من تشرين الأول الفائت.

وقال ترامب في مؤتمر صحفي له إن أبو بكر البغدادي ميت، بعد هجوم بثمانية طائرات أمريكية قامت بعملية إنزال لقوات أمريكية على منزل كان يتواجد فيه زعيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي.

وأضاف ترامب أن المنزل الذي كان

بائع البغدادي سيحصل على ملايين الدولارات

شكل المخبأ كان لها الدور الأبرز في نجاح عملية قتل البغدادي.

وأضاف أحد المسؤولين أن العنصر سيحصل على المكافأة المالية كاملة أو جزء منها والتي كانت قد رصدتها الولايات المتحدة لمن يدلي بمعلومات تفضي إلى مكان البغدادي، مشيراً إلى أن مبلغ المكافأة هو ٢٥ مليون دولار.

وأوضح أحد المسؤولين أن العنصر المنشق هو عربي سني، انشق عن التنظيم انتقاماً لأقربائه الذين قتلهم التنظيم، تم تجنيده من قبل قوات قسد وزرعه في صفوف التنظيم.

قالت صحيفة واشنطن بوست إن العنصر الذي قدم المعلومات التي أدت إلى اعتقال زعيم التنظيم أبو بكر البغدادي سيحصل على ملايين الدولارات كمكافأة له.

ونقلت الصحيفة عن مسؤولين أمريكيين أن العنصر الذي تم أخراجه من إدلب بعد تنفيذ العملية بيومين مع عائلته كان يقدم خدمات تسهل من تنقلات البغدادي في سوريا، كما أشرف على عمليات تأمين مخابته.

ويؤكد المسؤولون إن المعلومات التي قدمها العنصر المنشق عن تنظيم الدولة والتفاصيل الدقيقة عن



مسؤولون

أمريكيون:

دفن أشلاء

البغدادي في

البحر بعد

شعائر دينية

قال ثلاثة مسؤولين أمريكيين لروترز إن الولايات المتحدة دفنت أشلاء زعيم تنظيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي في البحر بعد شعائر مطابقة للشريعة الإسلامية، وذلك عقب مقتلته في غارة نفذتها قوات أمريكية خاصة في سوريا يوم السبت.

وأفادت الحكومة الأمريكية بأن البغدادي قتل عندما فجر حزامه الناسف عقب فراره من قوة أمريكية خاصة إلى نفق مسدود.

ولم يفصح المسؤولون، الذين طلبوا عدم نشر أسمائهم، عن تفاصيل أخرى عن المكان الذي أقيمت فيها الشعائر

ومدتها. وقال مسؤولان إنهما يعتقدان أن أشلاء ألقيت في البحر من طائرة.

وقال الجنرال مارك ميلي رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة في إفادة بمقر وزارة الدفاع يوم الاثنين إن الجيش الأمريكي تخلص من أشلاء البغدادي "على النحو الملائم وفقاً (للإجراءات المتبعة) لدينا ولقواعد الصراع المسلح".

ونظراً للطبيعة البشعة لمقتل البغدادي، فمن المستبعد أن يكون الجيش الأمريكي قد أتم شعائر الدفن مثلما فعل أفراد من قوات البحرية الأمريكية مع زعيم القاعدة أسامة بن

لادن عام ٢٠١١ عقب مقتلته في غارة بباكستان. وقُتل بن لادن برصاصة في الرأس، بحسب الحكومة الأمريكية.

وبعد مقتل بن لادن، نُقل جثمانه لحاملة الطائرات الأمريكية كارل فينسن وغُسل قبل تكفينه في ثوب أبيض وثلاوة آيات وأدعية باللغة العربية على الجثمان.

وقال ميلي إن أشلاء البغدادي نقلت لمنشأة مصنة للتأكد من هويته باختبار الحمض النووي.

وقال ترامب يوم الاثنين إنه قد يرفع السرية عن جزء من التسجيل المصور

لغارة يوم السبت. ويُعتقد أن التسجيل يشمل لقطات جوية وربما لقطات من كاميرات مثبتة على الجنود الذين اقتحموا مجمع البغدادي.

وأضاف ترامب للصحفيين "نفكر بشأن الأمر. ربما نفعل... ربما نأخذ بعض الأجزاء منه وننشرها".

لكن ميلي رفض التعليق على ما إذا كان يملك تسجيلاً مصوراً من داخل المجمع الذي وصفه بأنه مكان كان البغدادي يقيم فيه "بشكل دائم".

وقال ترامب إن البغدادي لقي حتفه في الغارة وهو "يئن ويبيكي".

ولم يؤكد ميلي هذه الرواية وقال إنه يفترض أن ذلك جاء من محادثات ترامب المباشرة مع أعضاء وحدة القوات الخاصة التي نفذت العملية.

وقال ميلي إنه لم يتحدث معهم بعد. وأفاد مسؤول كبير في وزارة الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة أكدت يوم الاثنين مقتل أبو الحسن المهاجر، المتحدث باسم تنظيم الدولة الإسلامية وهو واحد من الشخصيات الكبيرة في الجماعة الجهادية في عملية أخرى نفذتها القوات الأمريكية.

إدلب تنتظر مصيرها بعد نبع السلام

الأراضي التركية.

كما ستقدم المنطقة الآمنة حلا لمشكلة تركيا في عدد اللاجئين على أراضيها ومن المتوقع أن يتم إرجاع ما يزيد على المليونين لاجئ سوري لتوطينهم فيها، دون اكتراث إلى أن تلك المناطق ولو كانت سورية إلا أنها ليست مدنهم، وهو ما يشكل تغييرا في البنية السكانية للمنطقة مستقبلا.

وتسيطر حالة من القلق الشديد على اللاجئين في الأراضي التركية نتيجة لتلك التصريحات التركية التي أعلنت عن نية الحكومة التركية إرجاع أعداد هائلة منهم إلى المناطق التي تم السيطرة عليها في معركة نبع السلام، ويرى الكثير منهم أن كل من لم يحصل على الجنسية التركية أو على الإقامة بشكل رسمي سيتم ترحيله بآليات مختلفة إلى داخل الأراضي السورية وتحديدا إلى المنطقة الآمنة.

يبدو السيناريو محبطا للسوريين المعارضين للأسد، لكن المستقبل سيكون محبطا أيضا للموالين له، فلن تقف العنجهية الروسية عند حدود ما وصلت إليه، ومن المؤكد أن من بقي في مناطق سيطرة النظام سيتم استغلاله إلى أقصى حد بهدف توفير السيولة اللازمة للمجهود الحربي الذي قدمه الجانب الروسي، وفي الحوادث التي جرت مع رجال الأعمال المقربين من النظام السوري وإجبارهم على التخلي عن قسم لا بأس به من ثرواتهم خير دليل على ما ستحملة قادم الأيام.

الخبير في شؤون الشرق الأوسط لدى المجلس الروسي للشؤون الدولية "كيريل سيمينوف"، قال إن الزيارة التي قام بها رأس النظام السوري لبلدة الهبيط في إدلب قد تعتبر إشارة إلى أنه يستعد لهجوم جديد على إدلب، بغض النظر عما إذا كانت تلك التحركات قد حظيت بمباركة روسية.

ويتساءل البعض عما إذا كانت روسيا ستكتفي بتسيير دورياتها في المناطق الكردية بعد موافقتها على المشروع التركي في المنطقة الآمنة، أم أن هناك اتفاقا غير معلن على قضم مناطق جديدة في إدلب؟.

فيما يحصل الأتراك على مبتغاهم في كسر الحلم الكردي في إقامة دولة على حدوده، يبرز الروسي كلاعب فعال ومنفرد في اللعبة السورية، وكما يحصل النظام على مناطق جغرافية جديدة، يحوز الأمريكي بفجاجة على آبار النفط، ليبقى الشعب السوري هوي من يدفع ثمن تلك المكاسب للجميع.

منطقة آمنة وسجن للاجئين

ومن المرجح أن تكون المنطقة الآمنة التي وافقت عليها روسيا هي الحل لمعضلة اللاجئين التي منعت استمرار الحملة العسكرية على إدلب، وفي تحقيقها تقدم تركيا الحل الأمثل لمشكلتها مع الأكراد كما تقدم حلا مثاليا للجانب الروسي وحليفه السوري في تقديمهم باتجاه إدلب، ليتم بعدها دفع اللاجئين إلى المنطقة الآمنة لا إلى

السلام" التركية على شرق الفرات، واتفاق تركي روسي ينهي الوجود التركي في المنطقة الآمنة التي أرادتها أنقرة ويسمح للنظام السوري في كسب مزيد من الأراضي بدعم روسي على مناطق لم يحلم بالوصول إليها.

ويأتي توجس أهالي الشمال السوري من مرحلة ما بعد نبع السلام من شكوكهم العميقة وتجاربهم السابقة مع الضامن التركي في إمكانية أن يكون قد اتفق مع الروس على تسليم أجزاء مهمة من إدلب تتضمن طريقي حلب دمشق وحلب اللاذقية، الطريقان اللذان يشقان محافظة إدلب طولا وعرضا، وينهيان الثورة من أهم مدنها وقلاعها لا سيما مدينتي معرة النعمان وكفرنبل وسراقب وجسر الشغور.

وتشير عدة دلائل على أن اتفاقا أوليا جرى بين الضامنين الروسي والتركي على حصول روسيا على مكاسب من معركة نبع السلام التركية كان أبرزها موافقة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على المنطقة الآمنة التي رأى أنها تعزز من وحدة الأراضي السورية في لقائه مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في موسكو عقب الحملة الروسية مع قوات النظام على ريفي حماة وإدلب في الأشهر الماضية.

يؤيد هذا الرأي "يفغيني بوزينسكي"، وهو جنرال روسي متقاعد لا يستبعد أن يكون بوتين وأردوغان قد توافقا على السماح للأسد باستعادة إدلب باعتبارها جزءاً من صفقتهم الشاملة.

منسقو استجابة سوريا: تزايد انتهاكات قوات النظام على الشمال السوري

تواصل قوات النظام السوري وحلفائها خرق وقف إطلاق النار الأحادي الجانب الذي أعلنت عنه روسيا في نهاية شهر أغسطس/ آب الماضي.

وأشار منسقو استجابة سوريا في بيان صدر اليوم الاثنين، إلى تزايد وتيرة الانتهاكات على مناطق وأرياف محافظات إدلب وحماة وحلب، حيث وثق منسقو الاستجابة استهداف أكثر من ٣١ منطقة في أرياف إدلب و١١ في أرياف حماة و٦ في أرياف حلب، إضافة إلى ٧ مناطق في ريف اللاذقية خلال الفترة بين ٢١ و٢٨ أكتوبر/ تشرين الأول الجاري.

كما استهدفت الطائرات الحربية أكثر من ٢٥ نقطة في عموم شمال غربي سوريا خلال الفترة المذكورة، ١٣ نقطة في إدلب، و٤ نقاط في حماة، ونقطتين في حلب و٦ نقاط في اللاذقية، وتسببت تلك الخروقات بسقوط أكثر ٤٦ مدنيا بينهم تسعة أطفال، ليرتفع عدد الضحايا منذ توقيع اتفاق سوتشي في سبتمبر/ أيلول ٢٠١٨ إلى ١٤٨٢ مدنيا



ها السيناريو المحتمل لـ "هيئة تحرير الشام" بعد مقتل زعيم "داعش"؟



تباينت آراء الخبراء والمحللين بشأن مصير "هيئة تحرير الشام" (جبهة النصرة سابقاً) التي تسيطر على جزء كبير من منطقة إدلب شمال غربي سوريا، وذلك وذلك على خلفية الإعلان عن مقتل أبو بكر البغدادي، زعيم تنظيم "داعش" في قرية تابعة لهذه المنطقة.

من جهتها، لم تعلّق "تحرير الشام" على اتفاق سوتشي، لكن المتحدث باسم جناحها العسكري، أبو خالد الشامي، قال إن

"إدلب خارج أي تفاهات دولية وإقليمية، قد تضر بمبادئ الثورة وأهدافها، التي خرجت من أجلها ولاستقلالية قرارها". وأضاف في تصريح لوكالة "إباء" التابعة لـ "تحرير الشام"، كما أن للدول مصالح، فالثورة لديها مصالح ومبادئ أيضاً لن تحيد هيئة تحرير الشام عنها، وعلى رأسها إسقاط نظام الإجرام".

الباحث بالشأن السوري أحمد السعيد، رأى بدوره، أن انفجار الوضع في إدلب، محكوم بمدى بقاء التنسيق التركي-الروسي في شرق الفرات.

وقال إن "الواضح أن روسيا تحاول تحقيق أكبر قدر من المكاسب في شرق الفرات، وهي لذلك تحاول كسب قوات سوريا الديمقراطية إلى جانبها، وهذا الأمر سيزعج تركيا عاجلاً أو آجلاً، ما يعني أن المناكفات التركية الأمريكية السابقة حول "قسد"، ستعيد نفسها، لكن بين أنقرة وموسكو".

وهنا أشار السعيد إلى تجدد المعارك في محور الكبانه بريف اللاذقية الشمالي، ومساندة الطائرات الروسية لقوات النظام التي تحاول التقدم في تلك المنطقة الاستراتيجية.

وقال إن: "التصعيد الروسي المحدود في شمال غرب سوريا، هو تذكير لتركيا بأن لدى روسيا الكثير من أوراق القوة، في مواجهة تركيا، التي لا زالت ترفع سقف مطالبها في شمال شرق سوريا".

المصدر: ترك برس

ملف "تحرير الشام"، قال فخّام، إن التطورات شرقي الفرات، ووصول تركيا إلى مبتهاها هناك، بتأسيس منطقة آمنة، وإبعاد الوحدات الكردية عن حدودها هناك، تجعل من "تحرير الشام" هدفاً للحركات الثنائية التركية والروسية، في المرحلة القادمة. ورأى أن كل ذلك يُحتم على "تحرير الشام" اتخاذ قرارات كانت تحاول تجنبها، من قبيل الاستجابة لمطالب حل نفسها، مضيفاً "عندما ستتفرع الدول الضامنة (تركيا، روسيا) من ترتيب الأوضاع شمال شرق سوريا، فإن الأنظار ستتجه مجدداً نحو إدلب، الملف الثاني.

وتابع "أن اتفاق سوتشي لم يغفل متابعة ملف إدلب، علماً بأن بند مكافحة الإرهاب صار بنداً اعتيادياً في كل اتفاقية"، كما قال.

بدوره رأى المحلل السياسي، أسامة بشير، أن تضمن اتفاق "سوتشي" الأخير، بند مكافحة الإرهاب، من قبل تركيا وروسيا معاً، يؤشر إلى أن معركة مشتركة (تركية، روسية) ضد "تحرير الشام" باتت تلوح في الأفق.

ولم يقلل بشير، من الحديث عن أن ثمن الاتفاق التركي-الروسي شرق الفرات، كان "تحرير الشام"، وقال "روسيا لم تقف مع تركيا في عملية "نزع السلاح"، لم يكن دون ثمن".

وتابع: "لن تبقى تحرير الشام على ما هي عليه، والمعركة قادمة إليها، في حال لم تثمر المفاوضات بينها وبين تركيا".

وكان لافتاً من وجهة نظر بشير، الزيارة التي أجراها رأس النظام بشار الأسد إلى ريف إدلب، بالتزامن مع انعقاد القمة التركية-الروسية في سوتشي، الذي أضاف "والآن جاء مقتل البغدادي في إدلب، كمؤشر على أن المعركة باتت أقرب إلى أي وقت مضى".

وتشير تقارير صحفية إلى أن مقتل البغدادي، طرح العديد من التساؤلات حول التطورات في الأيام القادمة، وتأثير إدلب بما جرى، وارتدادات ذلك على المشهد العسكري في شمال غرب سوريا، في ظل التفاهات التي توصلت إليها تركيا وروسيا في الفترة الأخيرة.

وكان الرئيسان التركي رجب طيب أردوغان، والروسي فلاديمير بوتين، بحثا الأوضاع في منطقة إدلب، حيث أعرب أردوغان عن ارتياحه للوضع في المحافظة بقوله، "بحثنا الأوضاع في منطقة خفض التصعيد بإدلب أيضاً، ومرتاحون للهدوء النسبي القائم في المدينة وتراجع الهجمات".

ومع المخفي في تطبيق بنود الاتفاق شرق الفرات، تذهب المؤشرات باتجاه تأجيل كل من تركيا وروسيا التعامل مع هيئة تحرير الشام إلى حين الانتهاء من الملفات الشائكة شرقي نهر الفرات. وفق تقرير نشرته صحيفة "عربي21" الإلكترونية.

وتنقل الصحيفة عن الباحث بالشأن السوري، فراس فخّام، قوله إن روسيا قد ترد بالتصعيد عسكرياً على العملية الأمريكية التي استهدفت زعيم تنظيم الدولة، أبو بكر البغدادي.

وقال فخّام إن الولايات المتحدة من خلال تنفيذ هذه العملية في منطقة عمليات روسية، أرادت القول أنها هي الأقدر على مكافحة تنظيم الدولة، وأن روسيا فشلت في مكافحة "الإرهاب".

ووسط هذه القراءة، لم يستبعد فخّام أن تُقدم روسيا على التصعيد في إدلب، وتحديدًا ضد تنظيم "تحرير الشام" كنوع من رد الفعل، وكذلك التأكيد من موسكو على أنها فعالة- كما أمريكا- في الحرب على المنظمات "الإرهابية".

أما عن ارتباط التطورات شرقي الفرات،

الحياة البدوية في إدلب.. صعوبات وأصالة



الخيمة البدوية (بيت الشعر)، والقهوة الهرة، وكرم البدويّ وزيّه المعروف بجلابيته وشماغه الأحمر، بالإضافة إلى قطعان الأغنام، هي أول ما يتبادر للذهن عند سماع مفردة ”البدو“.

أسامة الشامي

يوميات بيت الشعر

لبيع أكثر من ثلثي قطيعي المؤلف من ١٥٠ رأس غنم، كي أستطيع التأقلم والاستمرار.

وطالب ”العليوي“ الجهات المسؤولة والحكومة والمنظمات الداعمة، أن تولي اهتماماً خاصاً لهذه الثروة الحيوانية، وتقدم لها أهم المستلزمات حتى تحافظ عليها وتمنع تدهورها.

على صوت الديك يستيقظ أصحاب البيت في الصباح الباكر، فينطلق شبان البيت لرعي المواشي، بينما تبدأ النساء بإعداد ”خبز الصاج“ ذو المذاق اللذيذ، ولا سيما عندما تصنعه البدوية الخبيرة بصنعه، لتضعه على مائدة إفطار عائلتها، إلى جانب لبن الغنم الصافي، وبيض الدجاج البلدي، والشاي الحلو، ثم مع اشتداد شمس الضحى يعود الشبان بالأغنام، لتنتطلق النساء للحليب، وبتريقة اصطفاف ملفقة تعدها النساء، وتبدأ عملية الحلب اليدوي، والتي قد تستمر لساعات، قبل أن يأتي ”الحلاب“، وهو التاجر الذي يذهب إلى البدو لشراء الحليب منهم.

تقضي ”أم عبد الله“ السيدة البدوية أيامها حالياً في تجهيز الخبز وإعداد الطعام لعائلتها، وترتيب منزلها، بعد

جعلنا نقلع عن المرور عليها نهائياً.

يقضي البدوي حياته باحثاً عن أفضل الظروف لقطعانه، فهو يعتمد عليها دون سواها في تأمين رزقه، فتربية المواشي هي المورد الاقتصادي للبدو ومصدر دخلهم، وهم ينشأون على طبيعة حياتهم هذه ويكبرون عليها، ويكرسون كل اهتمامهم لمواشيهم، إلا أنها تواجه منذ بداية الثورة في سوريا ظروفًا قاسية، تقلق راحة البدوي، وتشوه ملامح الحياة البدوية.

”أسعد العليوي“ صاحب قطع أغنام من ريف إدلب الشرقي تحدث لزيتون عن أبرز الصعوبات والمشاكل التي تواجه مربّي الأغنام في المنطقة بقوله: ”تواجهنا مشاكل عدة بتربية الأغنام، أهمها عدم تواجد العلف وعدم تأمينه لنا من قبل أي جهة، إلى جانب قلة المراعي أو شبه انعدامها، وانخفاض سعر الحليب وقلة الطلب عليه، فضلاً عن صعوبة التنقل، وفقدان الأمان، كل هذه الظروف تسببت بتراجع تربية الأغنام يوماً بعد يوم، فعلى سبيل المثال اضطرت

الكافي حينها فخرنا جزءاً من أغنامنا، ونجونا بما استطعنا منها آنذاك“.

وعلى الرغم من أن الحل والترحال هما دستور حياة البدوي وأساساً لحياة قطعانه، وكانا على مر العصور من أهم ملامح الحياة البدوية، إذ أن البدويّ يتتبع المراعي، فيرحل من مكان لآخر، ليحل حيث تتوفر المراعي لأغنامه، ولكن في ظل الحرب لم يتوقف الأمر على ما جرى من تقطيع لأوصال المناطق، بل تعداها إلى استبدال حلّه وترحاله وتنقله الحر الأمن بنزوح قسري لا يهيمه مصلحة البدوي ولا ينظر إلى مراعي أغنامه.

يقول ”عبد الله العليوي“ من أهالي ريف إدلب الشرقي: ”كنا نغرب ونشرق بقطعاننا سابقاً، نتبع المراعي وأينما طاب لنا الحال نحل، أما الآن فلا بلاد لنا ولا ترحال كيفي، وهناك ضيق بالمراعي، ولا نستطيع أن نرحل لمناطق يسيطر عليها النظام، ففضلاً عن مخاطر الاعتقال وما إلى ذلك، فإن حواجز النظام تأخذ منا ١٠ إلى ١٥ رأس غنم على كل حاجز يمر به، ما

كثيراً ما تم التحدث عن حياة أهالي إدلب المدنيين، والأكثر هو الحديث عن ملامح الحياة الحضرية فيها، في البلدات والقرى الكثيفة ومعاناتها في ظل الحرب، ولعل الحياة البدوية في إدلب وما تواجهه كانت بعيدةً دوماً عن الضوء.

تنتشر العديد من العشائر العربية في ريف إدلب الشرقي، وتغطي مساحات واسعة من هذا الريف ملامح الحياة البدوية، إلا أن هذه المناطق تعرضت لغزو قوات النظام وميليشياته منذ نحو عام، وهُجر معظم أهلها باتجاه عمق إدلب، فعصفت بأهلها ظروف جمة، وأثرت سلباً على الثروة الحيوانية، التي تعد مورداً اقتصادياً أساسياً لهم، وهاماً لكل أهالي إدلب.

وعن ذلك قال ”محمد الرفيعي“ من أبناء عشيرة النعيم في ريف إدلب الشرقي لزيتون: ”تشرّد عشرات الآلاف من أبناء العشائر البدوية، القاطنين في الريف الشرقي، فكان على كل منا أن ينقذ أهله ورزقه ومواشيه، ولم يكن لدينا الوقت

أنا هكتف بهجة طلابي.. "غسان نادر" بعد 6 سنوات من العمل التطوعي



من السهل أن تعطي لكن الصعوبة هي عند من يأخذ.. انهج لكي تشعر بنبض الوجود، أعط ما أعطته لك الحياة، أنتج كها الأشجار والقطعان في البراري، تدفق كها الأنهار والينابيع، شارك ضجيج الولادة والحب مع الآخرين، لا تستقل بها لديك، هي بعض من فلسفته.

لا تنتظر مقابلًا، وأحب المتعبين، فانتظار الامتحان فشل كلوي للإنسانية، وسبب سريع للابتعاد السعادة، هذا بعض مما يقوله.

استمتع بالهسرات الصغيرة، تفتح برغم جديد هنا وبورقة خضراء هناك، فمن دهعة صغيرة قد تعرف طعم البحر، وافتح قلبك للعالم، لتكتشف كم يشبهوك، انهجم سبباً كي يعشقوا الحياة.. هكذا يقول المعلم.

وعد البلخي

ببضع كلمات يلخص عمل ست سنوات متواصلة في تدريس اللاجئين في فرنسا "أنا مكتف بمحبة طلابي"، ست سنين وآلاف الطلاب وعشرات الساعات الأسبوعية لم تمل من حماس "غسان نادر"، المهندس اللبناني الذي اختار

حصّة واحدة لا تكفي

يقول "غسان نادر":

"عندما بدأت بتدريس اللغة الفرنسية للاجئين أدركت أن حصّة واحدة في الأسبوع غير كافية لتعليمهم اللغة بالشكل المطلوب، فقامت بتصميم البرنامج لأول مرة، وكان يحمل على الكمبيوترات، ويستغرق تحميل البرنامج لكل تلميذ جديد حوالي ٤٠ دقيقة، وبعد خمسة أشهر وصل عدد الطلاب إلى حوالي ٤٠ طالباً، حينها قررت أن أضع البرنامج على الانترنت، وتواصلت مع إحدى المجموعات السورية في مصر، وكان لديها خبرة بالبرمجة، فصممنا البرنامج وانطلق في صيف عام ٢٠١٣".

ويضيف "نادر": "أما البرنامج الحالي فقد تم العمل عليه لأول مرة في تشرين الثاني ٢٠١٣، وكانت الفائدة الأكبر مقارنة مع البرنامج القديم، هو قدرة الطالب على التدريب على البرنامج من كافة الأجهزة المحمولة، وبالتالي إمكانية التدريب من أي مكان وفي أي وقت، واستغلال أوقات الانتظار الضائعة في الدوائر والحافلات وغيرها".

تحديات العمل التطوعي

المتابعون لمعلم اللغة الفرنسية يدركون تماماً أن عمله هذا يتطلب منه الكثير من الجهد والوقت، إذ يقوم نادر بتحضير الدروس قبل إعطائها، وذلك لمحاولة إيجاد أبسط طريقة لشرح المعلومة بشكل مختصر وواقي، لتثبيتها في ذهن الطالب، وتمكينه من فهمها وحفظها، لا سيما مع طرح أسئلة تطبيقية على كل قاعدة عبر البرنامج، والذي يتابع نادر من خلاله كل طالب بشكل شخصي وبشكل

صمت لأرواح الذين غادروا الحياة، كان هناك شبان آخرون يشعلون الشمع في باريس، في ذلك الوقت تحديداً ابتدأت الفكرة، من سؤال تم طرحه، من سيعلم القادمون من الحرب والموت لغة الحياة في فرنسا؟.

دون تردد كانت إجابة مستشار الشركات لاستراتيجيات التوزيع الذي كان قد مضى على وجوده في فرنسا ١٠ سنوات حاضرة: "أنا أعلمهم"، وحدد "نادر" مساء يوم الجمعة من كل أسبوع لتعليم اللاجئين السوريين

اللغة الفرنسية، وذلك بما يتناسب مع أوقات عمله، لتبدأ مسيرته في التعليم في آب عام ٢٠١٢، بالتعاون مع جمعية "سورية حرة" في باريس.

وفي خريف عام ٢٠١٣، تم إغلاق

المركز الذي كان يتم إعطاء الدروس فيه، لكن "نادر" لم يتوقف، بل تابع تعليم اللاجئين مع تجمع "اللبنانيين العلمانيين في فرنسا"، والذي وفر الغطاء القانوني للمركز الذي يتم إعطاء الدروس فيه حتى اليوم.

التطوعي، آملاً في الوقت ذاته أن تساعد طلابه في الخروج من أجواء الحرب، وتقرب المسافات بينه وبينهم، فيعتمد في نهاية كل دورة لتنظيم حفلة يدعو إليها كافة طلابه القدامى والجدد والطلاب المتابعون له على الانترنت.

بث الدروس التي يلقيها ضمن قاعة المركز بشكل مباشر على فيس بوك، هدفها إتاحة الفرصة لأكبر عدد من الطلاب وأينما كانوا من التعلم، والتدرب على البرنامج، ما يجعل نادر دائم الحرص على جودة البث وأسئلة واستفسارات الطلبة وإجاباتهم عبر التعليقات على البث، فيشعرون بأولويتهم لدى معلمهم، وهو ما يحاول نادر إيصاله فعلاً، نظراً لقدرة الطلاب الحاضرين على السؤال واللقاء به في أي وقت على العكس من الطلاب المتابعين على الانترنت، ولكن ذلك لا يمنحهم على الإطلاق من التواصل معه في أي وقت شاؤوا، ليجدوه متأهباً للإجابة.

شعوره بالعجز أمام طلابه، لا سيما في الحالات التي يكون أحدهم مشتتاً ما بين بلده الأم وأخباره وتطوراتها وبين الدرس، على حدّ وصفه، مضيفاً: "أقع في حيرة كبيرة بين الاستمرار في الدرس والعجز أو التوقف، فكيف لي أن أقنع أباً مثلاً ينتظر خيراً عن ابنه المعتقل أو ما شابه أن هذه القاعدة أو هذا الدرس أهم مما يعانيه، وكيف لي ألا أقدر معاناته، هناك الكثير ممن يعيشون بأجسادهم في فرنسا سنيماً فيما قلوبهم وأرواحهم في مكان آخر".

أهالي المغرب العربي بالانضمام إلى المجموعة وتلقي الدروس فيها".

لا يتوانى "نادر" عن بذل أي جهد، أو الإجابة عن أي سؤال ضمن المنشورات والتعليقات أو حتى الرسائل الشخصية، كما لا ينفك عن التفكير في متطلبات ومشاكل اللغة لدى الطلاب ونقاط الضعف فيها، فلا يلبث أن ينتهي من إجراء استبيان حول المواضيع التي يرونها أكثر أهمية لتناولها في الدروس القادمة، حتى يطرح استبياناً جديداً حول المشاكل التي تواجه كل طالب سواء في القراءة أو الكتابة أو المحادثة أو اللفظ وغيرها للعمل على حلها، وبناء مخطط للدورات اللاحقة على أساسها، إلى جانب إجراء امتحانات مستوى وتوزيع الطلاب على عدة مراحل، وإضافة مستويات وصفوف جديدة إذا تطلب الأمر، وصلت إلى المستوى المطلوب للحصول على الجنسية الفرنسية.

الألفة والمودة والأجواء الودية هو أكثر ما يسعده في عمله

أضاف: "ليس هناك تخريج للطلاب أو شهادات، ولكن كل ثلاثة أشهر هناك دورة جديدة وطلاب جدد، وأكثر ما يسعدني حين يخبرونني بأنهم وجدوا عملاً، وذلك نظراً لما يتطلبه العمل من إجابة للغة".

أما عن سبب تسمية المجموعة في موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك باسم "تعليم اللغة الفرنسية للناطقين بالعربية الشرقية" فيؤكد نادر أنها سُميت بهذا الاسم لأن أهالي المغرب العربي يتكلمون باللغة الفرنسية في بلدانهم وفي حياتهم اليومية، ما يُمكنهم من التحدث بالفرنسية بسهولة، ويفاوت بين متطلباتهم في اللغة ومتطلبات أبناء المشرق العربي، فضلاً عن اختلاف اللهجات وتباعدها، والخوف من عدم وصول المعلومة"، موضحاً:

"الاقتصار على الناطقين باللغة المشرقية ليس إقصاء أو تمييز للأهل في المغرب، إنما هناك تغيير جذري في اللغة ما بين المشرقية والمغربية، وعلى الرغم من ذلك فقد بدأ عدد لا بأس فيه من

عدهم نحو ٧٥٠٠ طالباً، فليس لها وقت محدد.

وأكثر ما يدهش طلابه، ويزيد من تقديرهم له ولجهوده هو قدرته على التنسيق بين وظيفته التي تتطلب منه وقتاً وجهداً وسفر وبين عمله التطوعي، ولا سيما أنهم يراقبون جيداً مدى تجاوبه، والوقت الذي يقضيه من أجلهم.

وعن ذلك يقول غسان نادر:

"أعمل كمستشار أعمال في استراتيجيات التوزيع للشركات، لتحسين وتصميم استراتيجيات

يقوم بتنسيقها ووضع تمارين وتدريبات لحلها بشكل جماعي خلال الدرس، إلى جانب التنسيق مع بقية المعلمين في المركز، ليكون صلة الوصل بينهم وبين الطلاب. ويقضي نادر نحو ساعتين ليصل إلى المركز، وساعتين في إعطاء الدرس، ثم يعمل على تنظيف وترتيب القاعات بعد مغادرة الطلاب، أي ما مجموعه ٥ ساعات في الدرس الواحد، وبحسب البرنامج الموضوع للدورة يعطي نادر درسين أسبوعياً، مساء كل ثلاثاء وجمعة، أما الإجابة على أسئلة ومراسلات الطلاب البالغ

فلسفة في التطوع

يعمل غسان نادر منذ ست سنوات في تعليم اللاجئين للغة الجديدة التي فرضتها عليهم ظروفهم، والتي كان الكثير منهم يجهل أحرفها باستثناء شكلها، منطلقاً من مفهومه عن العطاء، والذي يتجسد في كلمات المفكر العربي ”جبران خليل جبران“: ”إنك إذا اعطيت فإنما تعطي القليل من ثروتك، ولكن لا قيمة لما تعطيه ما لم يكن جزءاً من ذاتك، من الناس من يعطون قليلاً من الكثير عندهم وهم يعطونه لأجل الشهرة ورغبتهم الخفية في الشهرة الباطلة تضع الفائدة من عطايهم، ومنهم من يملكون قليلاً ويعطونه بأسره، ومنهم المؤمنون بالحياة وبسواء الحياة، هؤلاء لا تفرغ صناديقهم وخزائنها ممثلة أبداً، ومن الناس من يعطونه بفرح وفرحهم مكافأة“.

وهو ما يشعر به نادر ويعتبر أنه لا يعطي، وإنما يتشارك مع طلابه المحبة والمودة والاحترام، ويكتفي بما حصل

عليه منهم، ويتمنى أن تكون رسالته قد وصلتهم، وأن يكون قد ساهم في إعادة النبض والبريق لحياتهم.

يقول:

”لم أشعر يوماً بأ أنني أعطي، فأنا أخذ بذات القدر الذي أعطي فيه، أشارك وقتي وأخوض تجربتي، وأشعر بسعادة غامرة عندما أجد طريقة أفضل للتعليم، وعندما نخلق معاً بيئة مناسبة للاستمرار، وهو ما يخلق لديّ اكتفاءً ذاتياً يساعدني على المتابعة“.

أكثر ما يردده ويثق به هو محبة طلابه له، ويُجمع طلابه على أن ثقتهم في مكانها، فمنهم من جذبه أسلوبه وطريقة تعليمه ومحبه، ومنهم من قطع مدناً ومسافات ليحضر دروسه، وآخرين لم تساعدهم الظروف على الحضور فافتقوا متابعة دروسه عبر الانترنت، مع محاولاتهم عدم تفويت أي درس منها، ولم يمنع العمر أياً

منهم من متابعته.

”أمير شيخو“ وزوجته ”قمر شقرة“ من طلاب النادر، لا يفوتون حضور درس له في المركز، كان أمير قد بدأ بتعلم اللغة الفرنسية قبل أن يتابع تعليمه مع نادر ويصل إلى مستوى B1، بينما تفوقت عليه زوجته التي بدأت مع معلمها من الصفر في اللغة الفرنسية لتصل إلى مستوى B2، وهو أحد شروط الحصول على الجنسية الفرنسية.

وعلى الرغم من أنها لا تستطيع بعد إدارة محادثة كاملة مع أشخاص فرنسيين إلا أنها تستطيع أن توصل ما تريد قوله بطريقة أو بأخرى، وبتركيب وأزمة دقيقة، وتفهم ما يحاولون إيصاله لها، وذلك بفضل ملاحظاته وتشجيعه ومتابعته المستمرة لها، فضلاً عن البرنامج التدريبي، والذي تعتبره معجزتها لأنه السبب في حفظ الكلمات والتطبيق

على الدروس، لا سيما أنها قليلة الاحتكاك مع الخارج وكثرة النسيان.

تقول ”شقرة“: ”كنت أكره اللغة الفرنسية جداً، لكن الأستاذ غسان جعلني أحبها بأسلوبه، ودعمه وتشجيعه لي على الدوام، وزرع في نفسي الحافز للتعلم وتطوير ذاتي، وعزز ثقتي بنفسي، ولم يتوانَ عن مساعدتي في أي وقت من الأوقات، إنه إنسان بكل ما تحمله الكلمة من معنى“.

بينما يرى ”شيخو“ أن العلاقة بين نادر وطلابه تتعدى علاقة المعلم بالطلاب، وأن الكلمات لا تفي لوصف نبل غسان وعطائه اللامحدود على حساب وقته وراحته وعمله، فكثيراً ما كان يتجه من المطار إلى المركز لإعطاء الدرس قبل أن يذهب لمنزله، كما أنه يحاول دائماً مناقشة الطلاب للتعرف على مشاكلهم مع اللغة لتلافيها والعمل على حلّها.

ويعتبر الزوجان شيخو وشقرة أنهما محظوظان، وأن معرفتهما بمعلمهما وتلقيهما دروس اللغة الفرنسية عنده، هو أفضل ما حصلوا عليه في فرنسا.

أما ”دانا رمضان“ فهي إحدى الطالبات المتابعات لدروس نادر عبر الانترنت، إقامتها في جنوب فرنسا بعيداً عن باريس منعته من التواجد بشكل شخصي في قاعة الدرس، لكنها لم تمنعها من تلقي دروسه ونقلها، إذ ترى أن دروس نادر يجب أن تكون مرجعاً لكل الطلاب الذين يريدون تعلم اللغة الفرنسية.

تقول ”رمضان“: ”الاحترام والعطاء يصدق وبأسلوب بسيط وواضح، والاستعداد الدائم للمساعدة، والاستجابة لطلباتنا ومتطلباتنا في مواضيع الدروس وتحديثات البرنامج الرائع، كان له دور كبير في وصولنا إلى

هذه المستويات“.

في حين تصفه ”سحر الأحمد“ بالمعلم الحقيقي الذي يتفق مع قول الشاعر ”أحمد شوقي“: ”كاد المعلم أن يكون رسولا“، وذلك بإجماع كافة زملائها الذين التقتهم في قاعات المركز منذ بدء تلقيها دروس نادر وحتى اليوم، منطلقاً مما وجدته من محبتهم واحترامهم له.

تقول ”الأحمد“: ”قدرته على إيصال المعلومة، وابتسامته التي لا تفارق وجهه، تحمل لنا الحب والأمل، وتخلق فينا طاقة إيجابية، تجعله يستحق أن يحمل لقب معلم“، مضيفة: ”هو إنسان ودود ومحبوب من قبل الجميع، والدليل إصرار جميع الطلاب على حضور دروسه والالتزام بها برغم كل الظروف“.

والاحتراب واللجوء، نحتاج نحن السوريون إلى الاستفادة بما مر به الآخرون من تجارب، ولربما كان العمل التطوعي المرادف لعملنا الأساسي حبل النجاة والخلاص لنا كشعب وأفراد، لنستلم الشعلة ونمررها لغيرنا، لنعيد لأمّ مجتمعتنا وسوريتنا.

دون انتظار الرد، افعلوا ما شئتم من أجل أنفسكم لا من أجل المردود، أعطوا بلا مقابل، حتى تكسبوا أنفسكم ولا تضيعوا العطاء بالأنا، لا تُعمّموا وانظروا لكل إنسان على أساس إنسانيته وشخصيته وفرده“، هذه الكلمات كانت رسالة غسان نادر لكل من يقرأ كلماته، وطلابه الذين هم أكثر من يدرك مدى مصداقيتها.

في التغريبة السورية وزمن الفوضى

بها، انعكست بشكل كبير على حياته الشخصية، فبات قادراً على تقبل شخصيته بكافة جوانبها، وتقبل الحياة كما هي في أي وقت، وتجربها على النحو الذي يريده، ويرأيه أن الإنسان قادر على رؤية جمال الحياة متى شاء، كما هو قادر على رؤية قبحها متى شاء، وهو الأمر الذي يحاول تجنبه إلى حدّ ما، ما يجعله دائم الابتسامة والمرح.

”اسمحوا لأنفسكم أن تحبوا، وقدموا

لا يستطيع غسان تجييز طاقاته لأمر واحد، وإنما يشتتها في عدة أمور في آن واحد، وكثيراً ما يكون عاجزاً عن إتمامها بالكامل معاً نظراً لذلك، لكنه يعتبر أن كثرة أسئلته وإلحاحه وفضوله، كثيراً ما توصله إلى الأجوبة الصحيحة، فتحمل له السعادة والسحر والدهشة كالأطفال تماماً، ويكون قادراً على الاستمتاع بكافة التفاصيل في حياته حتى الصغيرة منها كوردة صغيرة أو ورقة خضراء.

كما أن ثقافة تقبل الآخر التي تمسك

لا تثبت صحته بالأدلة والبراهين على مبدأ الرياضيات.

كما تأثر نادر إلى حد كبير بوالده الذي كرّس حياته كناشط اجتماعي وسياسي للرفي بالإنسان والمجتمع، ما دفعه للاقتداء بوالده ودخول المجال الاجتماعي في مرحلة معينة من حياته، كناشط مستقل، وليس ضمن أطر المنظمات والعمل المدني الرسمي، ضد التمييز وفي مجال حقوق المرأة والعنف الأسري.

غسان نادر مهندس كمبيوتر واتصالات خريج الجامعة الأمريكية، وُلد في منطقة الكورة في لبنان عام ١٩٧٧، وعاش فيها إلى أن بلغ الحادية والعشرين من عمره، شهد في طفولته ١٤ عاماً من الحرب الأهلية في لبنان، فكان لها التأثير الأكبر في تكوين شخصيته وأفكاره، فكانت لديه ثقافة احترام الآخر وتقبله، ونبذ العنصرية والطائفية، واحترام القيم الإنسانية، ولكنها في الوقت ذاته زرعت فيه ثقافة التشكيك في كل ما



ومن الحب ما قتل.. تهوّر ثائر.. الشهيد محمد إبراهيم الفضل

تحريّر زيتون

”ثمانية شبّان لو أردت تعليق صورهم على الحائط لاهتلت، ثمانية من أبناء إخوتي فقدناهم حتى لم يبق في العائلة أي شاب على قيد الحياة“.. بهذه الكلمات تحدّث عهتهم الخمسينية شقيقة إبراهيم الفضل عن شبّان عائلتها الذين غابوا في السجون أو استشهدوا بغارات طيران، مسترجعة صورهم وأسماهم وصفاتهم وهي تعاند دمعها بعد هذا الكرم الكبير من الخسارات.

”ابن أخي محمد إبراهيم فضل من مواليد إحسر ١٩٨٩، أقاموا في دمشق بسبب عمل الأب في مجال السيارات، لكن بعد وفاة زوجته في عام ٢٠٠٩ متأثّرة بمرض السرطان عادوا إلى إحسر“.



اقتحموا المنزل واعتقلوه، وحين توسلت خطيبته لهم ليتركوه، صدها الضابط بقوله: ”اقرئي الفاتحة على روحه“.

تم إرساله إلى معسكر الموت في قرية إبّلين، وهو مزرعة تم تسميتها بهذا الاسم نتيجة لقتل أغلب المعتقلين الذين دخلوها.

تروي العمة عن استشهاد محمد: ”أبلغنا أحد الشبان الذين أفرج عنهم من مشروع الموت أن محمد أ تعرض للتعذيب بوحشية، فقد تم سلخ ساعده الذي يحمل وشم ”رذاك يا أمي“، كما قطعوا أنفه وعضوه الذكري، كما تعرض للحرق بالأسيد، ورغم ذلك لم يكن يطلب الرحمة منهم، مرددا صراخه ”يا الله“.

فارق محمد الحياة في ١٤ حزيران ٢٠١٤، قبل أن يقوم عناصر النظام برمي جثته مع اثنين آخرين على مزبلة أوساخ في قرية جوزف وهم عراة تماماً، كما منعوا اقتراب أحد منهم، وكل من حاول سحبهم كان يتم إطلاق النار عليه.

بقيت جثثهم عدة أيام في ذلك المكان القذر، وخاطرت أخته بالذهاب كي تتأكد من جثته، لكن وبعد تعرفها عليه لم تستطع إخراجها، ما تركها بحالة نفسية سيئة ما تزال تعاني منها حتى اليوم.

ثلة من شبّان القرية الذين لم يهن عليهم ترك الجثث على هذه الحالة قاموا بحفر ثلاثة قبور في غابة جوزف مخاطرين بحياتهم، ليتمكنوا بعدها من سحب الجثث ودفنها.

وما تنفك العمة حتى اليوم تذهب لزيارة قبره في الغابة، غير مصدقة أن حياة محمد الشاب القوي وصاحب الروح المرحّة والطموح تنتهي بهذه الوحشية.

خسرت العائلة أخوين آخرين، أحدهما استشهد بقصف الطيران، واعتقل الآخر وانقطعت أخباره، بعد آخر زيارة قامت بها عمته له في سجن حلب المركزي، ومكالمة هاتفية معه أخبرها خلالها بأن قرار إخلاء سبيله تم توقيعه في ٢٠١٤، مؤكداً إطلاق سراحه في اليوم التالي وطالبا منهم البحث له عن عروس، لكن لم يخرج حتى اليوم.

أخبر أحد المفرج عنهم أنه تم تحويله إلى أمن الدولة في دمشق وبالرغم من مساعدتنا للوصول له، لم تعترف أي جهة بوجوده لديها وذلك منذ أربع سنوات مضت.

تصف العمة شخصية الشهيد محمد بالقوة والعناد والجرأة التي تصل في كثير من الأحيان إلى حد التهوّر، منذ طفولته كان طفلاً مشاغباً وشقيّاً، وتذكر كيف كان يرمي باب المنزل بالحجارة حين يجبره والده للذهاب إلى المدرسة، لم يرأبوه جدوى من تغيير الباب إلا بعد أن كبر محمد وكف عن شقاوته.

في خدمته العسكرية كان يرفض الانصياع للأوامر وتعرض للسجن عدة مرات نتيجة لتمرده، ما كبد والده مبالغ مالية كبيرة يدفعها للضباط مقابل عدم التحاق محمد بقطعته العسكرية.

أسمر البشرة ممشوق القامة ذو جسم رياضي قوي، التحق بالثورة من بدايتها وشارك بالمظاهرات السلمية، كما شارك بحمل السلاح حين تسلمت الثورة، ما جعله هدفاً رئيساً لقوات الأمن والنظام الذين حاولوا اعتقاله بشكل خاص عدة مرات فالتجأ إلى الجبل مع الكثيرين من الثوار.

تقول عمته إنه بالرغم من شخصيته القوية إلا أنه كان رقيق القلب وعاطفياً، فقد خاطر في إحدى المرات تحت ضغط شوقه لبلدته، بالدخول إليها رغم انتشار حواجز النظام في الطرقات، وعبر الأسطحة تمكّن من الوصول إلى منزله، والجلوس على سطحه ليشرّب المنة ويسخر من عناصر الحواجز القريبة.

وتضيف: ”أتعبنا كثيراً حتى أقتنعه بمغادرة إحسر وعودته للجبل، لا سيما تحت ضغط خوف اخته عليه من عملاء النظام والمخبرين أن يشوا به لقوات النظام الموجودة في البلدة“.

اعتقاله كان لمحمد حبيبة عاهداً على الزواج بها، تقطن في قرية جوزيف، وحدث أنه حين كان في قرية دير سنبل وكانت حينها معقلاً للثوار، أخبرته باتصال هاتفي بمحاولة أهلها تزويجها من شاب آخر، فقرر التوجه إلى أهلها لخطبتها رغم تحذير رفاقه من مغبة المخاطرة والدخول إلى قرية جوزيف الواقعة تحت سيطرة النظام، ومع عناده توجه إلى إحدى خالاته المقيمة في بلدة البارة في جبل الزاوية، التي رافقته بالفعل إلى قرية جوزيف وتمّت خطبة الحبيبتين.

بعد انتهاء الخطبة حاولت خالته أن تصحبه معها إلى البارة لكنه أحب أن يقضي ليلته في منزل خطيبته، ليتمكن أحد عيون النظام في جوزف بإبلاغ قوات النظام عن مكان وجوده، وفي الساعة الخامسة والنصف صباحاً من يوم ٢٠ آذار ٢٠١٢،

الروائي عبد الرحمن حلاق لزيتون: الروائي يعيش الحدث مرتين.. ثمة جواهر وفكرة على الكاتب التقاطها والتأسيس عليها



من الكويت حيث يقير يهضي القاص والروائي عبد الرحمن حلاق في كتابة عمل روائي جديد، يتناول فيه الثورة السورية التي عايشها بتفاصيلها، وأصابه ما أصاب باقي السوريين منها، بعدها اعتقل ابنه قرابة سنتين في سجون النظام.

في الحوار التالي الذي أجرته معه زيتون، يتحدث الكاتب "حلاق" عن دور الثقافة والمبدعين في الثورة السورية، وكيف ينطلق الكاتب في نصه، ولا ينسى وجع السوريين في المعتقلات.

– أنت من المجموعة الأولى التي شاركت وساهمت بتأسيس ملتقى الأدباء الشباب في جامعة حلب. هل لك أن تحدثنا عن هذه المرحلة وأثرها في عبد الرحمن حلاق وفي المشهد الثقافي السوري بشكل عام؟

في واقع الأمر لم أكن من المؤسسين فقد كان الملتقى منطلقاً قبل سنتين أو ثلاث عندما دخلنا الجامعة لكن في السنة التي دخلت فيها الجامعة دخلها زملاء كثر ممن كانت مواهبهم قيد الافتتاح وقد أسهم وجودنا بإغناء الملتقى وإثرائه. وبات من المعروف محلياً الأثر الإيجابي لهذا الملتقى على مستوى الحركة الأدبية السورية فقد أنتج مجموعة من الأسماء يشار لها بالبنان، بالنسبة لي كان الملتقى بمثابة مدرسة أدبية أسهمت بشكل فعال في بلورة رؤيتي الفكرية والأدبية، فالنقاشات التي كانت تثار وحضور عدد من أساتذة النقد والأدب كان لهما دوراً مميزاً في تطورنا الكتابي.

– بدايتك مع الأدب كانت مع القصة القصيرة ولكنك بعد مجموعتك القصصية الأولى نجدك قد توجهت نحو الرواية. هل برأيك فن القصة القصيرة تراجع أمام الرواية؟

ما تزال القصة القصيرة تحتفظ في داخلي بمكانتها العظيمة وما يزال سحر أنطوان تشيخوف ماثلاً في ذهني كيوم قرأته لأول مرة، ولست من المؤمنين بأن ثمة جنس أدبي يمكن له أن يتسيد أو يهيمن على المشهد الإبداعي، إذ يبدو لي أن ثمة عوامل كثيرة تجعل المبدع يتحول من جنس إلى آخر يأتي في مقدمتها طبيعة الفكرة التي تشكل هاجساً لدى الكاتب وكثيراً من الأفكار لا تتسع لها قصة قصيرة أو قصيدة شعرية فنزاعها تفرض على المبدع الجنس الأدبي الذي يحتويها والواقع حافل بأمثلة عن شعراء أو كتاب قصة تحولوا إلى الرواية، وعندما يكون المجتمع قد اقترب من المفهوم المدني وتعددت مشاكله تحضر الرواية كشكل قادر على استيعاب التحولات الكبرى.

– كنت من المجموعات الأولى التي ساهمت بتشكيل رابطة الكتاب السوريين، وتشغل حالياً عضوية اللجنة التنفيذية لهذه الرابطة، ما هي

الأهداف التي وضعتها لأنفسكم في مرحلة التأسيس، وماذا قدمت الرابطة للسوريين؟

قلة من المثقفين العرب والسوريين من استطاع التقاط اللحظة التاريخية لحركة الربيع العربي، فقد وقف الكثير ممن يدعي الإبداع والثقافة موقف المشكك من هذا الربيع، ومنهم من وقف موقف المعارض سلفاً بسبب من جهل أو تبعية أو انتفاع، وبعضهم أراد ثورة مطابقة لما قرأه في الكتب متناسياً الخصوصيات المجتمعية.

ومن بين هذه القلة التي التقطت اللحظة التاريخية، خرجت مجموعة من الكتاب كان الهدف الأساس من تحركهم مواكبة الثورة السورية، واستطعنا تشكيل أول مؤسسة مدنية منبثقة عن الثورة بجهود فردية سورية خالصة، وتم تشكيل جسم الرابطة، وأجريت أول انتخابات، وعقد المؤتمر الأول في القاهرة بدعم أحد رجال الأعمال السوريين، وكأي تشكيل جديد لايد من بعض العثرات في بداياته الأولى، لكن وبجهود أعضاء المكتب التنفيذي (وكلها تطوعية)، استطعنا إصدار مجلة أدبية فكرية ثقافية تحت مسمى (أوراق)، صدر منها حتى الآن سبعة أعداد والثامن في المطبعة، كذلك تمت رعاية آخر دورة من دورات جائزة المزرعة، في المدى المنظور ثمة الكثير من الأحلام رغم حالة الإحباط العامة التي أصابت السوريين ككل.

– لماذا برأيك الأجسام المهنية والنقابية التي تشكلت بعد الثورة السورية لم تشكل علامة بارزة في الصيرورة التي مرت بها الثورة، فرغم نبيل الهدف نجد الأداء أقل من المطلوب؟

أنتفق معك في مسألة عجز هذه الأجسام عن تشكيل علامات بارزة مثلها في ذلك مثل باقي قوى المعارضة، وأعتقد أن السبب في ذلك هو ارتهاق السوريين للآخر، فكما أن الفصائل المقاتلة لم تكن صاحبة القرار في معظم المعارك التي خاضتها بسبب تحكم الداعم، كذلك هذه الأجسام وقعت في المطب ذاته، للأسف الشديد بدأت الثورة سورية ثم تدخلت أجهزة مخابرات العالم أجمع، وخاصة ممن كنا نحسبهم أصدقاء سوريا لتفتيت الثورة.

لقد كان حجم الثورة المضادة أكبر بكثير من الثورة، خاصة وأن الثورة المضادة لم تنبع من الداخل السوري، بل من القوى العربية والإقليمية والدولية، وهذا يفسر كثرة المنتفعين

الفاستدين ممن ركبوا قطار الثورة، وقد ساعدهم على ذلك غياب الشرفاء في المعتقلات أو تحت الأنقاض، فقد قضت عصابات الأسد على الجيل الأول والثاني من شباب الثورة، ومن بقي منهم على الساحة تم تهميشه بشكل واضح لصالح أصحاب الأجنداث الخارجية.

أما الخطأ القاتل الذي ارتكبه السوريون أثناء ثورتهم فهو غياب العمل الجماعي المنظم، فقد فرضت الفصائلية ذاتها ليس على المستوى العسكري وحسب، بل وعلى المستوى الشعبي.

– في روايتك الأولى كتبت عن أحداث الثمانينيات في سوريا، وربما كنت من الكتاب الأوائل الذين تناولوا هذه المرحلة، هل لك أن تحدثنا عن ظروف هذا العمل؟

”قلاع ضامرة“ كانت تدريبي الأول على الفن الروائي، لكني لم أتعامل مع النص ضمن هذا المستوى، فتجربة الثمانينات تجربة لم تتعرض للمراجعة، لا على المستوى الفكري ولا على المستوى الأدبي، وكوني قد عايشت هذه المرحلة متسلحاً بوعي سياسي معقول، فقد شعرت بواجب أخلاقي تجاه ما حدث، خاصة وأني قد قررت ترك الاتحاد الاشتراكي (فرع جمال الأناسي) بسبب مواقف الخوف والتردد التي عانى منها، بينما كنت أرى أن الطرف التاريخي ملائم تماماً لثورة شعبية بغض النظر عما فعله الإخوان المسلمون وقتئذ، لكني اكتشفت أنه حتى الأحزاب السرية ما تزال قائمة على بعض المفاهيم القبلية، وأن هذه الأحزاب ليس في مقدورها تحريك الشارع وقيادته، وبقيت التجربة ماثلة في الذهن لحين هجري للعمل في الكويت، قررت عندهذا أن أكتب روايتي بمنتهى الحرية وبلا أي رقيب في الرأس، قررت أن أكتبها ولو بقيت حبيسة الأدراج، وعندما أنهيتها في عام ٢٠٠٦، كانت أجواء البلد تنتفس بقايا ربيع دمشق، فقررت المغامرة بنشرها، تمت الموافقة بعد حذف فقرتين ولم يخبرني الناشر بذلك إلا بعد أن استلم أجره، ثم بعد ذلك وصلتي رسالة تحذير شفوية من أحد مخبري اتحاد الكتاب العرب، فالرواية تحمل في طياتها الكثير، مما جعل أكثر من ناقد في سوريا يبوح لي بخوفه من الكتابة عنها.

الروائي يعيش الحدث مرتين، الأولى من داخله، والثانية من خارجه، الأولى بتفاعله التام مع صناع الحدث، والثانية بتأمله الحدث ككل ومن جميع جوانبه، وفي مرحلة التأمل يفترض أن يلم الكاتب بكافة الظروف والملابسات ثم يقتحم عالم الكتابة، وفي مثل هذه الرواية ليس المطلوب تجسيد كل أحداث الثورة على كامل الأرض السورية، ثمة جواهر على الكاتب التقاطه والتأسيس عليه، وثمة فكرة على الكاتب أن يلاحقها بدقة ويستخدم في سبيل التوصل إليها أحياناً منتقاة تارة، ومختلفة مخيلته تارة أخرى، كي يحقق في نهاية المطاف الرسالة المراد إيصالها للمتلقي، من ناحية ثانية تعد الكتابة الآتية المرافقة للأحداث أصدق منهل للأجيال القادمة الذين سيتمكنون من إنتاج كتابات مختلفة بالتأكيد، اعتماداً على ما يكتب الآن.

– هل يفكر عبد الرحمن حلاق بعمل روائي جديد يكون مركزه الثورة السورية التي أعلن ككاتب ومثقف انتماء لها منذ الأيام الأولى؟

في الواقع أنا أعمل منذ سنة ونصف تقريباً على كتابة رواية، وقد قطعت شوطاً معقولاً فيها، وبكل تأكيد الثورة حاضرة وبقوة في هذه الرواية، وبتصوري أن الواقع الجديد في سوريا يحتمل آلاف النصوص الروائية، وربما يأتي الوقت المناسب في سوريا حرة مستقبلاً، نقرأ ولاكثر من كاتب أعمال ملحمية عن عظمة الشعب السوري رغم ما نعيشه الآن من مظاهر تفتت، فالثورة في نهاية المطاف هي سيرورة تاريخية، وليست عملية كوماندوس ينفذها بعض الرجال، ثم يعودون إلى قواعدهم.

– يقال إن تناول الحدث التاريخي روائياً لا يكون في مصلحة الرواية الا بعد مرور زمن طويل، تكون الأمور فيه قد توضحت، بدءاً من روايتك التي تكتبها هل تجد أنها تستطيع تجاوز هذا المطب؟

الروائي يعيش الحدث مرتين، الأولى من داخله، والثانية من خارجه، الأولى بتفاعله التام مع صناع الحدث، والثانية بتأمله الحدث ككل ومن جميع جوانبه، وفي مرحلة التأمل يفترض أن يلم الكاتب بكافة الظروف والملابسات ثم يقتحم عالم الكتابة، وفي مثل هذه الرواية ليس المطلوب تجسيد كل أحداث الثورة على كامل الأرض السورية، ثمة جواهر على الكاتب التقاطه والتأسيس عليه، وثمة فكرة على الكاتب أن يلاحقها بدقة ويستخدم في سبيل التوصل إليها أحياناً منتقاة تارة، ومختلفة مخيلته تارة أخرى، كي يحقق في نهاية المطاف الرسالة المراد إيصالها للمتلقي، من ناحية ثانية تعد الكتابة الآتية المرافقة للأحداث أصدق منهل للأجيال القادمة الذين سيتمكنون من إنتاج كتابات مختلفة بالتأكيد، اعتماداً على ما يكتب الآن.

لست أرى في المسألة أي مطب، وقد شهدت الساحة الأدبية ولادة روايات تتحدث عن الثورة في غاية الأهمية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، إنتسام تريسي، وسمر يزبك، ومها

حسن، وغسان الجباعي، وفخر الدين فياض، وعبدالله مكسور، وغيرهم الكثير ممن لا تسعفني الذاكرة الآن بذكرهم.

– في كل الثورات نجد أن الفن من موسيقا وغناء وتشكيل ومسرح تنشيط لتشكيل رافعة ثقافية معرفية لأي ثورة، لماذا برأيك كان المنتج الفني للثورة السورية ليس بمستوى الحدث؟

أنتفق معك بأن الفن يجب أن يكون هذه الرافعة، ودعني أخالفك بأن المنتج ليس بمستوى الحدث، فما هو المعيار الذي يقرر أن هذا المنتج بمستوى الحدث أو ليس بمستوى الحدث؟ سأنظر إلى الموضوع من زاوية أخرى، لو افترضنا أن أحداً لم يتدخل في الشأن السوري وتركت عصابة الأسد لتواجه مصيرها أمام الشعب السوري، كيف ستكون النتائج عندما دخل حزب الله، كان الشعب السوري على وشك إنجاز مهمته، وعندما رمت إيران بثقلها كان الشعب السوري على وشك إنجاز مهمته، وعندما دخل الروس بثقلهم كان الشعب السوري على وشك إنجاز مهمته، ما الذي كان سيحصل لو أن الشعب السوري أنجز مهمته وأقام دولته التي يسعى لها؟ بكل تأكيد كنا سنحتفل اليوم بأعمال الكتاب والفنانين الذين واكبوا الثورة بنتائجهم، وكنا سنقول إن المبدعين السوريين كانوا على مستوى الحدث، لكن استمرارية مضخة العنف بوجه هذا الشعب، بالإضافة لمكر المخابرات العربية والدولية، وإغراق الثورة بالمال جعل كل شيء يتفتت، وأسقط عن كل شيء معناه وجوهره، عندما لا تنتصر الثورة تفقد بقية التوابع معانيها الخاصة، كثير من المبدعين وعلى مختلف الأصعدة قدموا أشياء جميلة في الواقع، لكنها ستكون أجمل وستكون موضع حفاوة إن انتصرت الثورة.

– كنت كأب قد عانيت من رحلة الألم الطويلة في انتظار ابنك المعتقل، هل لك أن تحدثنا عن هذه الرحلة وكيف ينظر عبد الرحمن إلى قضية المعتقلين والمغيبين؟

ستبقى قضية المعتقلين والمغيبين وصمة عار في جبين البشرية جمعاء، فمن يعتقل إنساناً لخلاف بالرأي هو بكل تأكيد كائن لا ينتمي للإنسانية، اعتقل ابني بسبب كرتونة أدوية حيث كان يجهز مع مجموعة من زملائه شحنة مساعدات طبية لمدينة حمص التي كانت آنذاك تحت القصف اليومي والمستمر، ثم وجهت له تهم عديدة منها انتماؤه لتنسيقية أطباء، والكارثة أن الانتماء لتنسيقية أطباء كان أخطر تهمة توجه لمعتقلي المخابرات الجوية في دمشق، كذلك وجهت له تهمة التخابر مع الخارج، بقي سنة وشهر في المخابرات الجوية، وجالوا به كافة الفروع التابع لها من الفرقة الرابعة لمطار المزة لغيره، ثم أكمل بقية السنتين في سجن عدرا، كانت الأخبار تصلنا متضاربة ومتقطعة في السنة الأولى، لم يصلنا عنه أي خبر تقريباً، عندما كنت أتوجه بالعداء، كنت أدعو لكافة المعتقلين، كنت أعتبر كل معتقل هو ابني وكل معتقلة هي ابنتي، حتى أن أمه أسست صفحة خاصة على صفحة التواصل الاجتماعي تحت عنوان ”كلهم أولادي“ ولعل قضية المعتقلين هي القضية الأولى التي جعلتني أنهم قوى المعارضة خاصة ”الائتلاف الوطني“، ومن بعده هيئات التفاوض بالخيانة، فقط لكونهم لم يضعوا قضية المعتقلين في صدارة الاهتمام، فما يعانیه المعتقل في السجون الأسدية وفي معتقلات بعض الفصائل الإسلامية، لا يعانیه معتقل على وجه الأرض، وكأنها خصنا الله بروبوتات شيطانية مبرمجة فقط على القتل والتعذيب.

• عبد الرحمن حلاق ١٩٦٠ قاص وروائي سوري ، مقيم في الكويت، يعمل مدرساً للغة العربية ، عضو المكتب التنفيذي في رابطة الكتاب السوريين، وعضو هيئة تحرير مجلة أوراق الصادرة عن رابطة الكتاب السوريين. صدر له: ”صباحات مهشمة - قصص ٢٠٠٢ عن دار عبد المنعم ناشرون - حلب، قلاع ضامرة - رواية ٢٠٠٧ عن دار الحوار.

لا تتقوا بسجل التاريخ.. إنه كذبة الهنتصر

يقول الكاتب ”جورج أورويل“: ”أعلم أنه من نافلة القول إن معظم التاريخ المسجل هو كذب على أية حال؛ ولكن ما هو غريب في عصرنا، هو التخلي عن فكرة أن التاريخ يهكن أن يُكتب بصدق“.

ياسمين محمد



لشدة ما عشقته، درست في قسم الآثار، هناك تعرفت على تاريخ الإنسان حتى قبل أن يصبح مفكرا وقابلا للقتل، منذ أول تطور له حتى يومنا هذا، مرورا بكل العصور والحضارات القديمة والوسطى والحديثة.

تعرفت على نتاجه الحضاري العتيق، كنت ازداد اندهاشا من هذا الكائن الفريد وفي رحلته التطورية، التي جعلت منه سيدا على هذه الأرض ومخلوقاتها، كما جعلت منه الخطر الأكبر على نفسه بعد تلك المخلوقات.

كانت مقولة ”التاريخ يسجل“، مقولة آمننت بها ككل السوريين المعارضين لنظام الأسد، عملت ككثيرين غيري كي نوثق ما كان يحصل لمن سيأتون بعدنا، آملين بأن ينصفنا ذات يوم، أو على الأقل نوصل الحقيقة لأبنائنا كما جرت، عملنا عليها على الرغم من أن الكثير مما كنا نعتقد حقائق، بدى لنا أنه غير ذلك، وتكشف لنا زيفه، ومع ذلك

لم يثن من عزيمتنا على تدوين أحداثنا بيدنا، وبقينا نردد تلك المقولة.

ولكن شيئا فشيئا، أصبحنا نرى تزوير أيامنا ووقائعنا أمام أعيننا، حتى بتنا نعرف كيف يزور التاريخ، وبتنا نشكك في كل ما قرأناه أو نقرأه سواء أكان ماضيا أم حاضرا.

انقلبت ثقتنا وإيماننا بتسجيل التاريخ لواقعنا وثورتنا، إلى يقين معاكس، وحلت مقولة ”كيف أثق بالتاريخ وأنا أرى الحاضر يزور أمامي“ بدلا من ”التاريخ يسجل“ ليكتشف الموثقون المؤمنون بالتاريخ بعدها أنه لا جدوى من جهدهم، فكل ما كتبوه سيتم طمسه بأساطير المنتصر صاحب الكلمة الأخيرة.

واليوم تعود بي الذاكرة إلى ما كان يلقيه لنا النظام السوري عن تاريخ سوريا ”الحديث“ لاكتشف مدى الزور ولوي عنق الحقيقة لصالح السلطة، السلطة القادرة على منع ما تخشاه ونشر ما تريد، حتى أنها تمكنت في كل العالم وليس في سوريا فقط من حذف أحداث ومعارك، ثورات وانتفاضات، حقائق وجرائم يندى لها الجبين عاشتها أمم قبلنا لكن روايتها لم تصل، لأن سجلات الفاتحين والمنتصرين هي التي بقيت أخيرا، وقد يقدم التاريخ في بلادنا كمادة للتربية القومية، كما يمكن أن يتحول المحتل العثماني إلى فاتح إن تحسنت علاقات البلدين السياسية.

أليس من حقنا أن نخشى مما سيصل من حقائق إلى أطفالنا، هل

سيدركون ما قدمه الشعب السوري في سبيل حريته، وهل سيميزون ما بين بطلنا يوسف الجادر أبو فرات والمجرم البغدادي، هل سيدركون أن من خرجوا في بداية الثورة مطالبين بالكرامة للسوري هم ليسوا من تنظيم القاعدة، وهل سيصدقون أن أهالي درعا وإدلب وريف دمشق والرقعة ودير الزور وغيرهم لم يكونوا متطرفين هدفهم السلطة؟

هذا ما اتبعه النظام السوري في تشويه الحقيقة حين ادعى أنها ثورة متطرفين، وظل يكذب ويكذب حتى صدق ذلك مناصريه ثم صدقه بعض الناس ثم صدق نفسه.

لا تنصتوا لسجلات التاريخ ولا تقرؤوها،

خذوا تاريخكم من همس آباءكم ومن تتقون بهم وبدوركم أوصلوه لأبنائكم وحذروهم من زيف ما يقرؤون، علموهم أن التاريخ يزور بأيد محترفين، فنانو تحريف وتلفيق، يقف خلفهم رؤوس وأنظمة وسلطات أكبر من الحقيقة.

ويعتمد المزيفون على عدد من الوسائل في تحريف الحقائق التاريخية، فهم إن لم يستطيعوا تغيير الحقيقة بشكل كامل، حاولوا تشويهها عبر زرع الشك بها وتقديم روايات مناقضة لها، كما لهم في مواراة الأحداث وطمعها وسيلة أخرى لتجنب الحديث عن حقيقة ما.

فهل حقا أحرق طارق ابن زياد سفنه؟

نهايات أيلول

مع نسحات الشتاء الأولى في أواخر شهر أيلول، يتغير وجه الشاطئ ويتبدل، ليتعري عن صخر وحصى صعبة الهداس، بعدها كان مهشى رهلي ناعم في أيام الصيف الماضية.

رياح الخريف التي ما زالت تعبث بأشجار النخيل المجاورة، تحيل كل شيء على الشاطئ إلى لون الكآبة والضجر، مظلات الشمس المائلة نحو الشرق، مقاعد المصطافين الخالية إلا من بعض كبار السن القلائل، الذين تأخروا بالمغادرة، يبعث وجودهم على القلق، مالذي أبقاهم حتى الآن؟ ربما كانوا ينتظرون آخر ساعات أيلول كي يغادروا، أو ربما نسيهم ذويهم هنا ومضوا إلى حياتهم، وربما لم يبق لهم سوى هذي الوقفات الأخيرة متمسكين بآخر رمق للشمس والتي يمكن أن تكون آخر شمس لهم، قبل ثبات الشتاء الطويل.

كل شيء يوحى بالضجر.. عيdan القصب المنخورة والرطبة على طرف الشاطئ مختلطة مع كل ما تقياه البحر، صدف ميت وحصى ملساء سخيفة، غيم ثابت، خيام كانت منذ أيام قليلة حبلً بالفرح، هُجرت ولم يبق فيها سوى الصمت.

كل شيء يوحى بالضجر.. الوحيدون المبعثرون على مسافات بعيدة، والمتحاشين من الاقتراب بالآخرين القلائل، بعضهم يفكر في نهاياته، الآخرون قد يكونوا يبحثون عن بدايات، والقلّة الذين يصطحبون أقران لهم، لا بد أنهم يشعرون بتلك المسافة فيما بينهم، فلأيلول غرام بالوحدة.

بعض العابرين يرسمون حروفاً لأسماء بعيدة، ربما كانوا أحبة، تبدوا عليهم ملامح الحزن والطيبة، وربما الفجيعة بعدما تمسح الأمواج ما خطوه، تتشابه الأمواج والقدر، وتتشابه إرادتنا مع ما نخط، كما يتشابه وجودنا بتلك الرمال التي تزيحها حصى الشتاء القاهرة، لنغدو قفراً بعد غنى وركاماً بعد منعة. حركة أوراق الشجر اليابس والمصفى الذي تتلاعب به أمواج البحر في حركة بندولية يبدو عليها الأبدية، تغمر النفس بالاستكانة لحكم القدر وتعاقب أيلول بعد كل ربيع، كما تدفع المرء إلى الإقياء من اليأس، الأسماك الميتة المتفسخة، الممشى البحري الخاوي، أحذية لأطفال كانوا منذ وقت قريب يرحون.. كلها توحى بالضجر.

رسائل الواتس أب والفيس بوك المشبعة بالكراهية، إميلات مبهمة،

تعاكس المواعيد المرسومة من زمن، مرار زائد في القهوة الصباحية، ولا سكر كاف في كأس الشاي المسائي.

الخمير بلا نديم، الخمير بلا روح.. سلام عبثي لحرب واجبة، والضحايا مغررون بالنعيم، والجنان للطغاة، والأرض لن يرثها الطيبون.

إحدى أهم حجج القدر في وجود الموت هي إتاحة الخيار أمام الناس، واستبعاد سطوة العادة في الحياة، غادر قليلاً واترك حرية الاختيار بلا ضغوط وبلا سيوف الحياء، فلربما كنت ثقيلاً على القلب، أرح الروح قليلاً من ثقل المكوث، واترك الريح تلهو بمصيرك، ابتعد وغير عادات قلبك، تمرد على عبودية الاشتياق، وحرر فؤادك من الحب، إكره وشوه جمال ما بنيت، مزق لوحتك الأخيرة بعد اكتمالها، واترك الشغف بلا مبناء، تلاسن مع الحياة، أعد النظر ببياضك فقد يكون مزيف، اشرب الكأس واكسره، اخلف بالمواعيد، خن واغدر وعاقب بقسوة، واحذر من الحنين.. هذا ما يقوله لك الخريف.

في اللجوء الأخير يحمل أيلول لك الختام، لا حب يدوم ولا ثورة، لا فرح ولا أحزان، ولا شباب ولا مشيب، في اللجوء الأخير تخرج إليك عيون الأطفال المغيرة من تحت قدميك، تسائلك عن المصير، وعن النهاية، في كل رفة عين عاجل موجه، من صنف العواجل للكوارث؟، قد تكون صُدف أيلول أبدية، وقد تكون الأبدية في أيلول، «لا تحلموا بعالم جديد»، فكلنا ذئاب بشكل حمل.

يهيؤ أيلول المنام ويلغي المواعيد، والكلام الجميل الذي كان يطرز حواف اللقاء تسطح، وغدا بلا معنى، ربما قتله الاعتیاد، وشهوة التجديد، أيلول ألغى الأولويات وبدلها، وأعاد ترتيب الحياة على أساس الذات، والأنا بعدما ألغى مواعيد «هم».

على الصخور الناتئة عند البحر يستحيل المسير، ومشوار الشاطئ المهجور نوع من التعذيب، فلا ثورة انتصرت ولا رجح «الدم المسفوك يوماً»، كل ما يرجّعه الصدى صوت أنين.